كيف ربى الرسول ﷺ أصحابه

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .....

أما بعد أيها المسلمون: إن الرسول ﷺ ربى جيلاً فريداً من أصحابه ، لم يشهد التاريخ مثيلاً له ، يوم أن أتى زعماء الطين والتراب ، فسحقوا شعوبهم ، ليربوهم عبيداً وأرقاء ، وطبقات مستعبدة ، ربى محمد ﷺ أصحابه على الحب والإخاء ، أتى محمد ﷺ ليخرِّج من الأمة العربية البائسة، أمة ماجدة خالدة رائدة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢] هذا مجدُ الإسلام وتاريخ محمد -عليه الصلاة والسلام- فأين مجدكم أنتم قبل الإسلام؟ وأين تاريخكم قبل الرسالة الخالدة؟ أمَجْدُ عنترة الإرهابي ، أم مَجْدُ حاتم المشرك على الوثنية ، أم مَجْدُ عبسٍ وذبيان ، وداحسٍ والغبراء ، كلا ، ولا :

إن البريـّة يـوم مبعث أحمد ∴ نظر الإلـه لهـا فبدل حالها

أصول التربية عند محمد ﷺ :

أتى محمد -عليه الصلاة والسلام- وربى أصحابه على حب الله وحب رسوله ﷺ ، يقول في حوار مكشوف: (**والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**) وعمر رضي الله عنه يقول له: يا رسول الله ، والله إنك لأحب لي من مالي وأهلي ومن ولدي ، إلّا من نفسي، قال: لا ، يا عمر) هذا هو الحب الصادق ، الذي ليس فيه مجاملة، وليس مصطنعاً ، والحب أثبت أصالته في المعركة ، يَهبُّ أنس بن النضر ، بسيفه من المدينة إلى أحد ، فيقول له: سعد بن معاذ عُدْ يا أنس ، قال: إليك عني يا سعد ، والله الذي لا إله إلّا هو ، إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، أليس هذا حب صادق ، معناه: الحب لله ولرسوله ﷺ ، ومن الذي دفع حنظلة الغسيل رضي الله عنه ، والحديث صحيح ، أن يترك زوجته في أول ليلة ، وهو عريسٌ ، يَهبُّ وعليه جنابة ، فَيُقْتَلُ في سبيل الله ، ويقدم دمه علامة على هذا الحب الرفيع ، حتى يقول عليه الصلاة والسلام وهو يلتفت إلى السماء (**والذي نفسي بيده ، إني لأرى الملائكة ، تغسّل حنظلة بين السماء والأرض**) ويأتي عبد الله بن عمرو الأنصاري والد جابر رضي الله عنهما ، فيتكفّن بعد أن يغتسل ويتطيب ، ويكسر غمد سيفه عند ركبته ، ويقول: اللهم خذ من دمي هذا اليوم ، حتى ترضى :

يجود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها ∴ والجود بالنفس أغلى غاية الجودِ

يذهب فَيُقْتَلْ ، فيبكي ابنه جابر ، فيقول ﷺ : (**ابكي أو لا تبكي يا جابر، والذي نفسي بيده ، ما زالت الملائكة تظل أباك بأجنحتها ، حتى رفعته ، والذي نفسي بيده ، لقد كلّم الله أباك كفاحاً ، بلا ترجمان ، فقال: تمنى ، اسمع إلى الأمنية**

والطموح وعلو الهمة ، قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا ، فأقتلُ فيك ثانية ، قال: إني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون ، قال: تمنى ، قال: أتمنى أن ترضى عني ، فإني قد رضيت عنك ، فيقول الله : فإني أحللت عليك رضواني ، لا أسخط عليك أبداً):

ومن الذي باع الحياة رخيصة ∴ ورآى رضاك أعز شيء فاشترى

أَمَّنْ رَمَى نار المجوس فأطفئت ∴ وأبان وجه الصبح أبيض نيّرَ

هؤلاء ، هم أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، أما الأصل الثاني من أصول التربية:

٢- **فقد ربّاهم على الشجاعة والإقدام:** يقتحمون الأسوار ، ويُسْلِمُونَ أنفسهم وأرواحهم للسيوف تمزقها ليدخلوا جنة عرضها السموات والأرض، الحياة ليست عبودية للمادة ، الحياة ليست مستقبل ، وتأمين المستقبل ، يقولون للشابِّ في الثلاثين من عمره: أَمّنْ مستقبلك ، فإذا مستقبله زوجة ، وسيارة ، وفلّه ، يموت من أجل الفلّة ، ويحيى من أجلها. ويسمي ذلك مستقبلاً ، وهذا ليس مستقبل ، لأن المستقبل أن تعيش حراً أبيّاً ، وأن تكون مؤمناً بالله، حتى لو لم يكن عندك سيارة ، ولا فلّة ، وأن تهيء لك مكاناً في جنة عرضها السموات والأرض ، ابن قطلوبة، وما أدراك ما قطلوبة ، سلطان سلجوقي لا يعرف الفاتحة ، دخل عليه ابن تيمية، فأمره ونهاه، وهز أكتافه بآيات الله ، فقال ابن قطلوبة: يا ابن تيمية يزعم الناس أنك تريد ملكنا ، وملك آباءنا وأجدادنا ، فيضحك ابن تيمية ويقول: ملكك وملك آباءك وأجدادك ، والله ما يساوي عندي فلساً واحداً، إني أريد جنة عرضها السموات والأرض ، فأتى -عليه الصلاة والسلام -

يربي أصحابه على الشجاعة والإقدام في سبيل الله ، ابن القيم- رحمه الله - يقول في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة :١١١] قال في كلام ما معناه: أنزل الله صكّاً من السماء ، أتى به جبريل ، وأملاه محمدًا ﷺ ، ونص المعاهدة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ ﴾ فتقدم أصحاب الرسول ﷺ بالثمن، فتبايعوا، فقال لصهيب الرومي: (ربح البيع أبا يحي) وقال ابن رواحه: والله لا نقيل ولا نستقيل ، ويقول ابن القيم: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإذا تفرقا وجب البيع ، أليس هذا أرقى علوم التربية عند ابن القيم -رحمه الله- أليس أولى أن تدرس كتب ابن القيم في الجامعات والمؤسسات، والمدارس والندوات والأمسيات ولا تدرس خزعبلات (ديكارت ــ وكنت) وكل عميل متزندق ملحد، إنها ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور: ٤٠] .

أحد الحاقدين من القبوريين المبتدعة ، يقول: كتب ابن تيمية و ابن القيم ما لقيت رواجاً في الأسواق من سوء نيات أصحابها ، فتصدى له الألوسي، وقال: كذبت يا عدو الله ، أما كتب ابن تيمية و ابن القيم فهي الذهبُ السبيكُ ، والعسل المصفَّى ، أما كتبك وكتب أسلافك لا تصلح إلّا أن تكون مخازن للأدوية ، وكراتين للعلاج ويوضع فيها الشعير للحمير والدواب ، هذا هو الأصل ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[الرعد:١٧] والشاهد من ذلك: هو تربيته ﷺ لأصحابه على

الشجاعة والإقدام ، في معركة مُؤْتَه ، يأخذ الراية جعفر رضي الله عنه فَتُقْطَعُ يده اليمنى فيتسلمها باليسرى ، فَتُقْطَعُ يده اليسرى فيحتضنها بصدره ويموت ، وهو يبتسم ، فيقول ابن رواحه رضي الله عنه :

يا حبذا الجنة واقترابها ×× طيبة وبارد شرابها ×× والروم روم قد دنا عذابها ××
كافرة بعيدة أنسابها ×× علىّ إن لا قيتها ضرابها

فيأتي خالد بن الوليد رضي الله عنه ، سيف الله المسلول ، بعد أن يُقْتَلْ القواد الثلاثة، ويقتحم الصفوف، ويأخذ السيف المهنّدي ، ويكسره على رؤوس الأعداء، ثم يأخذ الثاني حتى كَسَرَ ، تسعة أسياف في هذه المعركة ، وما ثبت في يده إلّا صفيحة يمانية ، خالد بن الوليد رضي الله عنه :

تسعون معركة مزت محجلة ×× وخالد في سبيل الله مشعلها ×× وما أتيت بقعة إلا
سمعت بها ×× الله أكبر تدوي في نواحيها ×× ما نازل الفرس يوماً إلّا خاب نازلهم ××
ولا رمى الروم إلّا طاش راميها

جنود إسرائيل في بعض المعارك مع العرب ، يحملونهم بالسلاسل والأغلال ، ويدخلونهم في الطائرات بالسياط والأمر العسكري ، ومع ذلك يفرّون ، لأنهم يقاتلون بلا مبادئ ، ولا شجاعة ، ولا طموح ، وبعض الجيوش العربية ، عندما دخلت إسرائيل ، قالوا لأحد قادتها: صلّي الظهر هنا ، قال: الصلاة إذا رجعنا إلى بلادنا ، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، فترك حذائه وفرّ هارباً جباناً.

لقد ذهب الحمار بأم عمرو ×× فلا رجعت ولا رجع الحمار

لكن محمدًا -عليه الصلاة والسلام- لقَّنَ أصحابه دروساً في الشجاعة

والإقدام ، عمير بن الحمام ﷺ يسمع النبي ﷺ يخطب في بدر ، في ساعة الصفر ، وهو يقول: يا أهل بدر ، إن الله اطلع عليكم ، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، والذي نفسي بيده ، ما بينكم وبين الجنة إلّا أن يَقْتُلَكمْ هؤلاء ، فتدخلوا الجنة ، فَيُلْقِي عمير بن الحمام ﷺ بالتمرات التي في يده ، ويقول: بخ ، بخ ، إنها لحَياة طويلة ، إذا بقيت لأن آكل هذه التمرات، ثم يقاتل حتى يُقْتَل .

كذلك الرسول ﷺ :

٣-ربى أصحابه على الصراحة والوضوح: يأتي الطارف من رعيّته والبدويّ الأعرابي فيتكلم في حوار ساخن حار مع عمر ﷺ وهو من على المنبر ، ما هناك ألغاز، ولا مجاملات ، ولا نفاق ، ولا تُقْيَة ، بل وضوح وصفاء ، أبناء الصحراء يعيشون في وضاءة الصحراء ، يأتي رجل فيقول: يا رسول الله، والحديث في الصحيحين ، هَلَكْتُ ، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على أهلي وأنا صائم ، فقال: اعتق رقبة ، قال: ما أملك إلّا رقبتي ، قال: صم شهرين متتابعين ، قال: وهل أوقعني فيما أوقعني فيه إلّا الصيام ، يعني: ما استطعت أن أصوم يوماً كاملاً حتى وقعتُ ، فكيف أصوم شهرين ، قال: أطعم ستين مسكيناً ، قال: على أفقر مني ، يعني: وأنا فقير لا أستطيع أن أطعم نفسي ، فكيف أطعم ستين ، قال: اجلس ، فجلس ، فأتى بمكيل من تمر ، أو من طعام ، الله أعلم به ، فقال عليه الصلاة والسلام: خذه ووزعه على الفقراء في المدينة ، قال: على أفقر مني يا رسول ، والله ما بين لابتيها رجل أفقر مني ، قال: خذه وأطعمه أهلك) إن الرسول ﷺ ربّى أصحابه أن يتكلموا بما في قلوبهم ، يأتيه رجل فيقول: يا رسول الله ، إئذن

لي في الزنا ، فإني لا أستطيع أن أصبر ، فقام الصحابة رضوان الله عليهم، يريدون أن يبطحوه أرضاً ، ويشربون من دمه ، فقال: دعوه ، ثم قرّبه إليه، ووضع يده الحبيبة اللطيفة على صدره ، وقال له: أترضى الزنا لأمك، قال: لا ، قال: أترضاه لأختك ، قال : لا ، قال: أترضاه لابنتك ، قال: لا، قال: أترضاه لعمتك ، قال: لا ، قال: أترضاه لخالتك ، قال: لا ، قال: افترضى للناس ما لا ترضاه لنفسك ، قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله، أستغفر الله من الزنا وأتوب إليه ، تربية خالدة ، ومعلّمٌ رائع جميل .

الأمر الرابع:

٤-الرفق واللّين: أتى -عليه الصلاة والسلام- بمدرسة اللين والرفق ، وما كان الرفق في شيء إلّا زانه ، وما نزع من شيء إلّا شانه ، يرسل الله عزوجل موسى وهارون إلى فرعون ، فيقول لهما وهما في الطريق: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه :٤٤] اللّين: عجيب .

قال ابن المبارك -رحمه الله - :

إذا صاحبت قوماً أهل ودٍ ∴ فكن لهموا كَذِي الرحم الشفيقي
ولا تأخذ بزلّة كل قوم ∴ فتبقى بالزمان بلا رفيق

ديل كارينبي: مؤلف كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) أتى بأمور في الإسلام، وجاء بعض المربون من عندنا ، فنقلوا من كتابه ، ولم ينقلوا من صحيح البخاري ولا من مسلم ، فيا سبحان الله ، الرسول ﷺ يقول (تبسمك في وجه أخيك صدقة) ويقول عند الترمذي (ألا أنبئكم بأحبكم إليَّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة ، قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: أحاسنكم أخلاقاً)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة: ١٢٨].

يأتي أعرابيٌّ من الصحراء فيصلي مع النبي ﷺ، ولما انتهى من صلاته، يذهب إلى طرف المسجد فيبول، هذه كفارة مجلسه، تضيق به الدنيا، وكأنه لم يجد مكاناً يتبوَّلُ فيه إلّا مسجد الرسول ﷺ، فيقوم الصحابة -رضوان الله عليهم- يريدون أن يلقّنوه درساً من التعليم لا ينساه أبد الدهر، فيقول ﷺ: دعوه يكمل بوله، ثم صبوا عليه ذنوباً من ماء، انتهت المشكلة، الأمر سهل بالنسبة للرسول ﷺ، ثم يدعوا ذلك الأعرابي، ويمسح على كتفه، ويقول له: إن هذه المساجد لم توضع لشيء من هذا، إنما وضعت للتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وقراءة القرآن، فما كان من هذا الإعرابي إلّا أن قال: بعد أن رأى من أخلاق الرسول -عليه الصلاة والسلام- اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فتبسم النبي ﷺ وقال: لقد تحجّرت واسعاً، إن رحمة الله وسعت كل شيء، ثم يُخبرهم عليه الصلاة والسلام، أنهم لو ضربوه لارتدّ عن الإسلام ودخل النار، وكذلك أعرابيٌّ آخر، يأتي إلى الرسول ﷺ، وفي رأسه وساوس، الله أعلم بها، فَيَجُرُّهُ من تلابيبه، حتى أثّرَ ذلك في كتفه وعنقه، ويقول له: يا محمد، اعطني من مال الله الذي أعطاك، لا من مال أبيك ولا أمك، فكان هذا الكلام أقبح من الفعل، ولو أُلْقِيَ مثل هذا الكلام على أحد من العملاء، أو واحداً من زعماء الظلالة والإلحاد، لقتله شرّ قتلة، لكن الرسول ﷺ تبسّم في وجهه، أما الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم قاموا يريدون أن يؤدبوه

بالسيف والسنان ، فقال لهم الرسول ﷺ : دعوه ، ثم أخذه بيده وأعطاه من مال الله، زبيباً وحبّاً وثياباً ، فمن أراد الزبيب أخذه ، ومن أراد الحنطة أخذه، ومن أراد الثياب أخذه ، ومن أراد الإيمان والقرآن وحده أعطاه، ثم قال له: هل أحسنت إليك يا أعرابي ، قال: نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، ثم يقول للصحابة: أتدرون ما مثلي ومثلكم ، ومَثَل هذا الإعرابيُّ إلّا كمثل رجل ، كانت له دابة ، ففرت منه ، فلحقها ولحقها الناس ، فما زادت إلّا فراراً ، فقال الرجل صاحب الدابة: يا أيها الناس خلّوا بيني وبين دابتي ، أنا أَعْرَفُ بها ، فأخذ شيئاً من خشاش الأرض ومن خضارها، فأشار إلى الدابة ، فأتت وأكلت فأمسكها وقيّدها ، ولو تركتكم وهذا الأعرابيُّ لضربتموه ، ثم ارتدّ فدخل النار ، وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه ، أنه دخل المسجد وصلّى مع النبي ﷺ فعطس رجل في الصلاة ، فقال معاوية: رحمك الله، لأنه كان لا يعرف الحكم الشرعي في هذه المسألة ، فعطس الرجل ثانية فقال له: رحمك الله ، فضرب الصحابة على أفخاذهم استنكاراً لهذا الفعل ، فقال الرجل: ويل أمي ، ماذا فعلت؟ زاد الطين بلّة ، يريدونه أن يسكت فزاد ، فلمّا سلّم عليه الصلاة والسلام ، يقول: معاوية رضي الله عنه ، فدعاني هو بأبي وأمي ، ما رأيت معلماً أحسن منه ، ولا أحلم منه ، ولا أرحم منه ، ما جهرني ولا سبّني ولا شتمني ، إنما وضع يده على كتفي ، وقال: إن هذه الصلاة لا تصلح للكلام ، إنما هي للذكر والتسبيح وقراءة القرآن .

أما الأصل الخامس من أصول التربية النبوية:

٥- **فالطموح وعلو الهمة:** الرسول ﷺ ربى أصحابه على الطموح وعلو الهمة،

يقول له الصحابة: يا رسول الله ، شيءٌ من المال ، قال: لا ، بل الجنّة، لم يمنّي أبا بكر بالخلافة ، وما قال لعمر : سوف تكون الثاني ، ولا عثمان سوف تكون الثالث ، ولا قال لخالد: أنت سوف تكون قائداً عسكرياً ، إنما وعدهم بالجنّة ، أما الدنيا ، ليس عنده شيء ، عنده بيت من الطين ، وشقح من الخشب ، وعصى وشملة وحصير :

كفاك عن كل قصر شاهق عمد ∴ بيت من الطين أو كهف من العلم
تبني الفضائل أبـراجـاً مشيّدة ∴ نصب الخيام التي من أروع الخيم
إذا الملـوك صـفـوا موائدهم ∴ على شهىٍّ من الأفـلاك والأدم
صففت مائدةً للروح مطعمها عذب ∴ من الوحي أو هدي من الكلم

هذه تربية محمد -عليه الصلاة والسلام - أمَّا تلكم التربية الغربية، التي عليها شبابنا اليوم فهي ليست تربية ، ربَّوهُ على ذلك ما يعرف إلّا الدراجة، وصيد الحمام والدجاجة ، وأكل البطيخ والمراسلة ، ولذلك سموه نجماً ، وليس بنجم ، وسألوه: كيف شققت طريقك في الحياة؟ قال: بدأت من الصفر، وهو ما يزال تحت الصفر ، أو أسفل منه بقليل ، يقول: بدأت من الصفر ، فثابرت وصبرت وسهرت الليالي الطوال ، فيا مسكين ، هل تسهر الليل بطه والأنفال ، أم بهود وأخواتها ، يقول عليه الصلاة والسلام (شيبتني هود وأخواتها)، أم تسهر الليل في صحيح البخاري ومسلم.

أيها الإخوة الكرام: هذه همّة سافلة حقيرة ، والذي يعيش بلا همّة ، وبلا رسالة في الحياة ، ليس بحيّ ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل:٢١] أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، تربّى على همّة عالية ، يقول عليه

الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري : (**إن للجنة أبواباً ثمانية ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، إلى آخر تلك الأبواب،** فيسكت الناس ، لكن أبا بكر ما يسكت، بل قال: يا رسول الله ، ألا يدعى أحد من تلك الأبواب الثمانية ، فيقول -عليه الصلاة والسلام-: **نعم ، وأرجوا أن تكون منهم**) .

مـن لي مثـل سـيرك المـدلّـل ∴ تمشي رويـداً وتجـيء في الأول

دائماً أبو بكر في المقدمة ، في المرتبة الأولى ، همّة عالية ، وفي صحيح مسلم، أن النبي ﷺ أعطى أحد الصحابة مالاً ، واسمه (شَبَبَهْ) وكذلك أراد أن يعطي ، ربيعة بن مالك ، فقال: يارسول الله ، لا أريد المال ، قال: ماذا تريد؟ قال: كلمة بيني وبينك ، أناجيك ، فناجاه في أذنه ، وقال له: أريد مرافقتك في الجنة ، قال: أو غير ذلك ، قال: هو ذاك ، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود) أيها الإخوة: هذه همّة عالية ، والذي يعيش لا همّة ولا رسالة ، فهو إنسان ميت لا حياة فيه ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [النحل:٢١] أما النبي ﷺ ، يريد من أصحابه أن يعيشوا حياتهم للجنة ، ومن أجلها ، ولذلك يقول أحد الصحابة: يا رسول الله ، أين ألقاك غداً؟ يعني: يوم الزحام ، ويوم العرض الأكبر على الله ، فيقول له: عند مواطن ثلاثة تلقاني ، عند تطاير الصحف ، أو عند الصراط ، أو عند الميزان) لذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: (**ألا من مشمر إلى الجنة، فوالذي نفسي بيده ، إن الجنة نور يتلألأ ، وقصر مشيد**) ولهذه الغاية يدخل عمرو بن سالم في معركة أحد ، والرسول ﷺ يخطب من

على المنبر ، فيقول: يا رسول الله ، لا تحرمني دخول الجنة ، أُخْرجْ بنا إلى أُحد، فوالله لأدخلن الجنّة ، فتبسم النبي ﷺ من هذه الحرارات ، ومن هذه التوقدات الشبابية ، فقال: بماذا تدخل الجنة؟ قال: بخصلتين ، الأولى: بأني أحب الله ورسوله ، ولا أفرُّ يوم الزحف ، قال له: إن تصدق الله يصدقك ، فلمّا انتهت المعركة وقتل في سبيل الله جعل النبي ﷺ يمسح التراب عن وجهه ويقول: (صدقت الله فصدقك الله ، صدقت الله فصدقك الله) ذهبوا ولم يأخذوا شيئاً من حطام الدنيا وزينتها ، بل وجدوا أن ملاذ الدنيا ، وسمن الدنيا ، وعسل الدنيا، ولحم الدنيا ، لا يساوي عند الله شيئاً ، كما جاء في الحديث (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى منها كافراً شربة ماء) علو الهمة ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقول: والله إني لأعلمكم بأحسن الطعام ، وألين اللباس ، وأوسع الدور ، ولكني أخشى أن يقال لي يوم القيامة ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف:٢٠] الآن هؤلاء المترفون، والكسالى والبطالون ، جرّبوا المبادئ الهدامة ، وسكنوا القصور وغاصوا في أعماق البحار ، ولبسوا أجمل اللباس ، فما وجدوا إلّا الطريق إلى الله ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة:٥٠] ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨] فيا ترى ، شابٌّ في الثلاثين من عمره، يجمع مائة شريط في الحب والغرام ، عنده همة عالية ، وشابٌّ لا يصلي الفجر في جماعة مع المسلمين ، عنده همة عالية ، وشابٌّ لا يراود نفسه على حفظ القرآن وتعلم الكتاب والسُّنَّة ، هل عنده همة عالية ، يقول الإمام الذهبي -رحمه الله - في ترجمة خالد أبو سليمان إن الروم في معركة اليرموك، قالوا له: تزعمون أنكم متوكلون على الله ، فإن كنتم كذلك ،

فاشرب هذه القارورة، وهي مملوءة سماً ، فقال خالد: بسم الله ، توكلت على الله حسبي الله ونعم الوكيل ، فما أصابه شيء بإذن الله ، ثم سحقهم في معركة اليرموك سحقاً ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٢- ١٧٤] .

نموذج مقدمة:

أيها المسلمون: تحدثنا معكم في موضوع سابق عن التربية الإسلامية التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ ، وكيف أتى محمد -عليه الصلاة والسلام - ليخرج من الأمة العربية البائسة أمةً خالدة ماجدة رائدة ، وضربنا لهذه التربية الرفيعة ، أمثلة كثيرة منها حنظلة الغسيل الذي ترك زوجته في أول ليلة من عرسه ، وذهب يقاتل في سبيل الله وهو جُنب، فيقول النبي ﷺ وهو يلتفت إلى السماء : (**والذي نفسي بيده ، إني لأرى الملائكة تغسّل حنظلة بين السماء والأرض**) .

المثال الثاني: والد جابر عبد الله بن عمرو الأنصاري رضي الله عنهما ، الذي اغتسل وتكفّن، وقال: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى ، فيذهب ويُقتل، فيبكي ابنه جابر رضي الله عنه فيقول له النبي ﷺ:(**ابكي أو لا تبكي يا جابر، فوالذي نفسي بيده ، ما تزال الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته ، والذي نفسي بيده ، لقد كلّم الله أباك كفاحاً بلا ترجمان ، فقال: تمنّى يا عبدي ، قال: أتمنّى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، قال: إني كتبت على نفسي ، أنهم إليها لا يرجعون ، فتمنّى ، قال: أتمنّى أن ترضى عنّي ، فإني قد رضيت عنك ، قال الله: فإني قد أحللت عليك**

رضواني ، لا أسخط عليك أبداً) .

أما المثال الثالث: خالد بن الوليد رضي الله عنه وما أدراك ما خالد ، سيف الله المسلول، يَضرب لنا مثالاً حياً في العزة والشموخ والإباء ، لأنه تخرّج من مدرسة محمد ﷺ، وتربى على عينه تربية إيمانية ، ليواجه أعتى قوّتين في شمال الجزيرة العربية آنذاك ، ويهزّ كيان الفرس برسالة يقول فيها لزعيمهم: بسم الله الرحمن الرحيم،من خالد بن الوليد سيف الله إلى كسرى، أما بعد: يا كسرى أسلم تسلم،وإلّا فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة، قَرَءَهَا كسرى ، فارتعدت فرائصة ، واهتز كيانه وجوانحه ، فأرسل رسالة إلى ملك الصين ، يطلب منه المدد ، أتدرون ماذا ردّ عليه ، إنه ردّ يعتذر ، وقال: يا كسرى ، لا قبل لي بقتال قوم إذا أرادوا خلع الجبال لخلعوها .

أما الروم ، فقد أتى خالد بن الوليد إليهم في معركة اليرموك وعرض عليهم ، إما الإسلام ، وإما الجزية ، وإما السيف، فقال له ما هان زعيم الروم: أما قد عَلِمْنَا أنّ ما أخرجكم من بلادكم إلّا الجوع والحاجة ، فهلمُّوا إليّ أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير ، وكسوة ، وطعاماً ، وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل، بعثنا لكم بمثلها،فقال خالد رضي الله عنه : إنه لم يخرجنا من ديارنا ما ذكرت ، غير أنّا قوم نشرب الدماء شرباً ، وإنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فأتينا لكي نشربها ، والسؤال الذي يطرح نفسه ، من أين اكتسب خالد بن الوليد رضي الله عنه هذه العزة، وهذا الشموخ الحقيقة أنه اكتسبها من الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ، اكتسبها من تربية محمد ﷺ الذي رباه ، أن يكون جنديّاً لبيباً ، وسيفاً مسلطًا على أعداء الله .